نصف عام

في باريس

بقلم حضرة الكاتب الفاضل خليل افندي زينيه

اي باريس هذا يوم براحك فالوداع ووداعك بالقلب لا بالذراع . يا بلد العلم والحرية والنور ويا بابل الخلاعة واللهو والفجور قضينا في ربوعك نصف عام لا ينقص يوماً ولا يزيد فيه يوم . وكأننا لم نقض في افيائك الا نصف يوم بل ريثما حيي الخليل اوائك القوم . ثم عدنا الى مصر والعود وحقك احمد . فالوطن منك اعز والمقام فيه اهنأ واسعد . وهذا « انيس » مصر قد فتح لي صفحاته للحديث عنك . بعد ان نشر المؤيد نحو خمسين رسالة كتبتها منك

وليس بدعاً في ان تتخير مجلة النساء التي تديرها ربة الفضل مبدأ جولة الاقلام عنك فوق الطروس . فهي عروس مصر وانت من عواصم الدنيا وحواضرها العروس . وسوف نزف الى القراء الكرام في كل عدد رسالة نضمنها خلاصة ما شهدناه . بحيث يعرفون باريس ومافيها من الذخائر والبدائع قبل ان يروها اعتماداً على ما خبرناه ورأيناه . والله سبحانه المسؤول في ان يسدد هذا القلم الى السداد . بحيث تكون حكاية باريس خدمة للامة والبلاد بمنه تعالى وكرمه

على انني مفتتح سلسلة هذه المقالات بنبذة عن تاريخ هذه المدينة العظيمة موجزاً فيها الحديث ما استطعت . فان هذه المدينة التي يقطنها الان

مليونان ونصف مليون من الناس ويدخلها ويخرج منها في كل يوم نصف مليون كانت لاول نشأتها دسكرة صغيرة غير آهلة بسوى نفر من السكان وقد كان منشأها في مكان يدعى « السيته » وهو المعروف الان بباريس القديمة . وأول مرة ورد فيها ذكرها كان لثلثة وخمسين عاماً قبل التاريخ المسيحي اذ دعا قيصر الرومانيين جماعة الغاليين وهم اصل الفرنسويين الى اجتماع كبير

وكانت هذه الدسكرة الحقيرة تسمى وقتئذٍ لوتسيا ومعناها باللغة السلتية « مساكن وسط الماء » لان نهر السين كان يكتنفها من كل جهة . وكانت مساحتها ١٥ ايكتاراً وهي الان ٧٨٠٠ ايكتار وتزيد . ثم اخذت منذ ذلك العهد بالنماء والشهرة حتى اصبحت مقراً لكثيرين من قياصرة الرومانيين

وفي عام ٢٥٠ للمسيح ادخل القديس ديونيسيوس اليها دين النصرانية وفي عام ٣٠٠ لقبت هذه المدينة باسم باريسا سيفيتا التي اشتق منها اسمها الحالي . ثم انقضى عليها نحو قرن وهي هادئة مطمئنة فلما كان العام الحادي والخمسون بعد الاربعمئة غزاها اقوام الهنس فدفع سكانها غزوتهم وقهروهم بعناية امرأة صالحة وتدريبها وهي القديسة جينيفيف التي اصبحت بعد ذلك شفيعة باريس وحاميتها . ثم قهر كلوفيس ملك الفرانك جماعة الرومانيين في حروبه معهم فاتخذ باريس عاصمة لملكه وكان ذلك في عام ٥٠٨ للمسيح

على ان باريس لم تتبع في ذلك شريعة النماء وقانون الارتقاء بل لبثت واقفة عند الحد الذي بلغت اليه وظلت هي هي لعهد الذين حكموها من الميروفنجيين والكارلوفنجيين دون تقدم ولا اتساع . ولم يبق من آثارها في تلك الايام سوى كنيسة « سان جرمان ده بره » وهي قائمة في مكانها

القديم ليومنا هذا

ثم جاء النصف الثاني من القرن التاسع والنصف الاول من القرن العاشر وجاءت معهما المصائب تلو المصائب تنهال على سكان باريس انهيالاً فالنيران تأكل منازلهم والنورمانديون يغزون بلادهم والمياه تغرق اراضيهم والمجاعات تفتك بهم . كل ذلك يتواتر حدوثه في خلال ١٠٠ سنة حتى كأنهم وضعوا بينهم وبين المصائب عهد اخاء ووفاء . وقد ترك الباريسيين ملوكهم واسلموهم الى انفسهم في ازاء تلك النوازل فتألفوا عصابات بقيادة امرائهم الذين كانوا ينتسبون الى شارلمان الكبير فامتاز منهم في الدفاع وردّ هجمات النورمنديين امير اسمه « ايد » وفاز عليهم فوزاً مبيناً حتى ان الباريسيين اختاروا من بعده نسيباً له وهو هوج كابيت ومسحوه ملكاً عليهم وكان ذلك في عام ٩٨٧ وهو اصل السلالة الثالثة من ملوك فرنسا المسماة بسلالة الكابيتيين نسبة الى كابيت هذا

وما وصل الملك الى لويس السادس حتى ازهرت باريس بتجارتها وصناعتها وعلومها وأخذت تتقدم وترتقي وكان ذلك بين عام ١١٠٨ وعام ١١٧٧ وقد بحثت خلال اقامتي في باريس عن اثار تلك الايام التي لا تزال قائمة فيها فلم استدل الا الى اثر واحد كبير وهو قلعة سان جاك لكنني عثرت في بعض المؤلفات على قولٍ يستدل منه ان حصن الشاتله الكبير وحصن الشاتله الصغير هما ايضاً مما شاده الملك لويس السادس وقد بناهما للتحصن والدفاع فاصبحا سجنين للظلم والجور ثم هدمت يد الحرية اساسهما ولم يبق ما يدل على مكانهما سوى ساحة كبيرة تسمى بساحة الشاتله وقد نصب في وسطها عمود كبير والى احد جانبي هذه الساحة الان ملعب الشاتله الكبير

والى الجانب الاخر ملعب ساره برنار وأمامها ووراءها باريس الجديدة ونهر السين وقد تغيرت البلاد ومن عليها ولا بدع فقد قيل

واذا نظرت الى البلاد رأيتها تشقى كما يشقى العباد وتسعد

ثم جاء ملك لويس السابع فوضعت اساسات كنيسة نوتردام الكبيرة التي سمى فيكتور هيكو الشاعر والناثر الفرنسوي الشهير احد تآليفه الكبرى باسمها فازدوجت شهرتها . وفي هذه الكنيسة « كنز » حقيقي من الاواني الذهبية المكللة بالحجارة الكريمة والملابس الكهنوتية الفاخرة التي لا يكاد يعرف لها ثمن وهي من هدايا الملوك والباباوات كما سيجيء بيانه في محله . وكان ذلك من عام ١١٣٧ الى سنة ١١٨٠ ومن هذه السنة الى عام ١٢٢٣ كان الملك لفيليب اوغيست وهو الملقب بفيليب الثاني وكان اميراً حازماً ذا جد ونشاط فانشأ الجسور والمساقي والمرافىء والاسواق العمومية ونظم الشرطة (البوليس) واتم بناء نوتردام وشاد قصر اللوفر القديم وبنى سور باريس الثالث وجعل المدارس كليات منظمة فحسنت حال باريس كثيراً

وزادت حال هذه المدينة تحسناً في عهد خلفه وهو لويس التاسع المعروف بالقديس لويس الذي حكم فرنسا الى عام ١٢٧٠ ومن جملة ما تركه من الاثار في باريس البناء الفخيم الذي فيه الان المحكمة وقد شاده هذا الملك ليكون كنيسة الى جانب القصر الملوكي

وفي ايامه بنى روبر سوربون وهو احد كهنة قصره مدرسة السوربون الكبرى وتولى احد رجاله وهو اتيين بو الوتنظيم الاحكام والشرطة والادارة البلدية فاحكم تنظيمها واتم اصلاحها وكان عدد سكان باريس وقتئذٍ نحو ١٢٠ الف نفس

وملك بعده فيليب الرابع الملقب بالحسن فنقش النقود وزاد الضرائب حتى ثقلت بها كواهل الباريسيين لكن شعب باريس من طبعه ان لا يصبر على ضيم فهاج وثار وكانت تلك الثورة اولى ثورات الشعب الفرنسوي وكان ذلك في عام ١٣٠٦ وعمل الملك على اخماد الثورة فلما استتب له الامر وجه همه الى التخلص من طائفة التامبليه التي دخل رجالها الى باريس في عهد الملك لويس السابع فامر برئيسهم وهو جاك مولاي فاحرق حياً في عام ١٣١٤ في اواخر ملك هذا الامير . على ان فيليب هذا هو الذي شكل دار الندوة فجعل الحكم شبيهاً بالدستوري وهي حسنة تمحو كثيراً من سيئاته

وفي عهد فيليب السادس (١٣٢٨ — ١٣٥٠) نشبت حرب المئة سنة فاصيبت باريس بويلاتها . على انها استمرت سائرة في سبيل الارتقاء الذي نهجته وبقيت على هذه الحالة حتى في مدة اسر خلف هذا الملك وهو يوحنا الثاني الملقب بالصالح

وفي عام ١٣٦٤ ملك شارل الخامس فبنى حصن الباستيل الذي جعله خلفاؤه سجناً لم يوجد في سجون الدنيا اقبح منه وهو الذي هدمته السكان في يوم ١٤ يوليو وصار يوم استيلاء الشعب عليه عيداً للجمهورية . ووسع قصر اللوفر وجمع مكتبة اصبحت فيما بعد اساساً للمكتبة الوطنية الكبرى القائمة الان في شارع ريشيليو وبدأ بحفر المصارف العمومية

وخلفه شارل السادس في عام ١٣٨٠ وكان عهده شؤماً على باريس فكثرت الضرائب على المأكولات حتى هاج الشعب وانتقض على الحكومة فرفعها ثم انصرف الملك في سبيل البذخ والاسراف وجن في اخر ايامه وقامت قيامة الاحزاب في باريس ثم استولى عليها الانكليز واقاموا

فيها ١٨ عاماً الى ان جاءتهم الفتاة جان دارك فحاربتهم وانقذت فرنسا من نيرهم على ما هو وارد في تاريخها مما لا مجال له هنا

(البقية تاتي)

الربيع

طلبت مجلة عيد الميلاد المصري التي تصدر في هذا العيد بالقاهرة بعض ابيات من صاحبة هذه المجلة لتنشر فيها مع سائر الاقوال المجموعة بها فبعثت اليها بهذه الابيات في وصف الربيع وهي

يا حبذا زمن الربيع فانه ... زمن الشباب وطيبه المستعذب
تبدو الازاهر كالخدود بحسنها ... فيه فباد بينها ومنقب
هذا هو الحسن الذي كل الورى ... دانوا به اذ كل حسن مذهب
لله ما يكسو الرياض شذى ويا ... لله ما منه النسائم تسلب
تصفو الحياة به كأن زمانه ... زمن الصبى والطفل فيه يلعب
او انه عيش الجهول وقد سها ... عما مضى منه وما يترقب
تجري الجداول فيه وهي كانها ... اسياف ماء بالنسيم تشطب
والروض كأس بالنجوم محبب ... والليل رأس بالنجوم معصب
والنهر يسرق من نسيم رياضه ... برداً فيتبعه النسيم فيهرب
يبدو الحباب بوجهه فتخاله ... درأً يصح قلادة لو يثقب
وترى الحصى بعقيقه فتظنه ... برداً يثقله الجمود فيرسب